كتاب
صلاة الكسوف

كِتَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ

ذكر فيه الأحاديث المتعلقة بصلاة الكسوف، وفيها بيان عدد من أحكام صلاة الكسوف.

ففيها: بيان مشروعيتها، وعدد ركعاتها، وذكر اختلاف الرواة في ذلك، وصفة أدائها، وبيان مشروعية إطالة القراءة فيها، وماذا قرأ الرسول ﷺ فيها، وبيان مشروعية إطالة الركوع والسجود، وبيان مشروعية وعظ الإمام المأمومين بعدها، وبيان ما يفعل الناس إذا فرغ الناس من الصلاة ولم ينجل الكسوف.

وصلاة الكسوف: هي صلاة ذات صفة مخصوصة، تشرع عند الكسوف أو الخسوف.

ويطلق الكسوف علىٰ الشمس والقمر، وقد يطلق الكسوف علىٰ الشمس، والخسوف علىٰ القمر.

﴿بَابُ صِفَةِ صَلَاةِ الْكُسُوفِ *﴾

٣٦٦. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ -وَفِي رِوَايَةٍ (مُعَلَّقَةٍ): فَبَعَثَ مُنَادِيًا: **الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ**-، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ[1]، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ -وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ قَالَ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**[2]- فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ -وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ قَالَ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**-، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى -وَفِي رِوَايَةٍ: أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ-[3]، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ**[4]، **لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللهَ، وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا** -وَفِي رِوَايَةٍ: **حَتَّى يُفْرَجَ عَنْكُمْ**-، **يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ. يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللهِ! لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا.**[5] وَفِي رِوَايَةٍ: **لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ**[6]، **وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا**

---

(١) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حَتَّىٰ جَعَلُوا يَخِرُّونَ.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ.**

(٣) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: قَامَ قِيَامًا شَدِيدًا، يَقُومُ قَائِمًا، ثُمَّ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَرْكَعُ، رَكْعَتَيْنِ فِي ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعِ سَجَدَاتٍ.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ.**

(٥) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ!.**

(٦) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ.**

بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ [وَفِي رِوَايَةٍ: يَجُرُّ قُصْبَهُ][1]، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ[2].

(وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[3].

وَفِي رِوَايَةٍ: جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْخُسُوفِ بِقِرَاءَتِهِ.

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄: فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ[4]. وَفِيهِ: فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ. وَفِيهِ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ. قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِكُفْرِهِنَّ. قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ.

• وَفِي حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﵁ قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، [فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ][5][6]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...

• وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ﵁ قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ[7]، فَأَتَى الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ.

• وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ ﵂: وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ -وَفِي رِوَايَةٍ: يُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟-، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ -أَوِ الْمُسْلِمُ- فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ -وَفِي رِوَايَةٍ: وَالْهُدَى-، فَأَجَبْنَاهُ وَآمَنَّا. فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا، عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ -أَوِ الْمُرْتَابُ- فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي! سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ ضَجَّةً).

(وَفِي رِوَايَةٍ: وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ، حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ! وَأَنَا مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ[8] -حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: - تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: [حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لَا أَطْعَمَتْهَا، وَلَا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ

---

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَاهَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرٍ ﵄.

(٢) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ﵁: فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ...

وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ تَأَخَّرَ وَتَأَخَّرَتِ الصُّفُوفُ خَلْفَهُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى النِّسَاءِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ مَعَهُ، حَتَّى قَامَ فِي مَقَامِهِ.

(٣) وَلِمُسْلِمٍ: فَكُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

(٤) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: صَلَّى ثَمَانَ رَكَعَاتٍ فِي أَرْبَعِ سَجَدَاتٍ.

(٥) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَى مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَأَبِي = مَسْعُودٍ ﵄.

(٦) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ﵁ قَالَ: فَأَتَيْتُ وَهُوَ قَائِمٌ فِي الصَّلَاةِ، رَافِعٌ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يُسَبِّحُ وَيَحْمِدُ وَيُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ وَيَدْعُو، حَتَّى حُسِرَ عَنْهَا، فَلَمَّا حُسِرَ عَنْهَا قَرَأَ سُورَتَيْنِ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ.

(٧) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ ﵂: فَزِعَ يَوْمَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَأَخَذَ دِرْعًا حَتَّى أُدْرِكَ بِرِدَائِهِ.

(٨) وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ ﵁: حِمْيَرِيَّةٌ سَوْدَاءُ طَوِيلَةٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

الْأَرْضِ][(١)]).

(وَفِي رِوَايَةٍ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ).

• وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ؛ سَجَنَتْهَا...

تخريج الحديث

حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، أخرجه البخاري ومسلم من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ.

[خ (١٠٦٥- ١٠٦٦- ١٢١٢- ٣٢٠٣- ٤٦٢٤- ٥٢٢١- ٦٦٣١)، م (٩٠١- ٩٠٣- ٩١٠)].

وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أخرجه البخاري ومسلم من طريق زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

[خ (٢٩- ٤٣١- ٧٤٨- ١٠٤٦- ١٠٥٢- ٣٢٠٢- ٥١٩٧)، م (٩٠٢- ٩٠٧- ٩٠٨- ٩٠٩)].

وحديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أخرجه البخاري ومسلم من طريق زِيَاد بْن عِلَاقَةَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ.

[خ (١٠٤٣- ١٠٦٠- ٦١٩٩)، م (٩١٥)].

وحديث أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه: أخرجه البخاري ومسلم من طريق بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ.

[خ (١٠٤٣- ١٠٦٠- ٦١٩٩)، م (٩١٥)].

وحديث أَسْمَاءَ رضي الله عنها: أخرجه البخاري ومسلم من طريق مَالِكٌ، هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ، عَنْ جَدَّتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ.

[خ (٨٦- ١٨٤- ٧٤٥- ٩٢٢- ١٠٥٣ - ١٠٥٤- ١٠٦١- ١٢٣٥- ١٣٧٣- ٢٣٦٤- ٢٥١٩- ٢٥٢٠- ٧٢٨٧)، م (٩٠٥- ٩٠٦)].

وحديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أخرجه البخاري ومسلم من طريق مالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

[خ (٢٣٦٥- ٣٣١٨- ٣٤٨٢)، م (٢٢٤٢)، وبعد (٢٦١٨)].

تبويبات البخاري

بَابُ كُفْرَانِ الْعَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ.

بَابُ مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ.

بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إِلَّا مِنَ الْغَشْيِ الْمُثْقِلِ.

بَابُ مَنْ صَلَّىٰ وَقُدَّامَهُ تَنُّورٌ أَوْ نَارٌ أَوْ شَيْءٌ مِمَّا يُعْبَدُ، فَأَرَادَ بِهِ اللهَ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ وَأَنَا أُصَلِّي.

بَابُ رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَىٰ الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ: فَرَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ.

بَابُ مَنْ قَالَ فِي الْخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَّا بَعْدُ.

بَابُ الصَّلَاةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ.

بَابُ الصَّدَقَةِ فِي الْكُسُوفِ.

---

(١) أَمَّا مُسْلِمٌ فَرَوَىٰ مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرٍ رضي الله عنهم بِنَحْوِهِ.

• وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ؛ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي! وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ.

بَابُ النِّدَاءِ بِالصَّلَاةُ جَامِعَةٌ فِي الْكُسُوفِ.
بَابُ خُطْبَةِ الْإِمَامِ فِي الْكُسُوفِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ.
بَابٌ: هَلْ يَقُولُ كَسَفَتِ الشَّمْسُ، أَوْ خَسَفَتْ؟ وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٨].
بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: يُخَوِّفُ اللهُ عِبَادَهُ بِالْكُسُوفِ.
بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي الْكُسُوفِ.
بَابُ طُولِ السُّجُودِ فِي الْكُسُوفِ.
بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ جَمَاعَةً.
بَابُ صَلَاةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْكُسُوفِ.
بَابُ مَنْ أَحَبَّ الْعَتَاقَةَ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ.
بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ فِي الْمَسْجِدِ.
بَابٌ: لَا تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، رَوَاهُ أَبُو بَكْرَةَ، وَالْمُغِيرَةُ، وَأَبُو مُوسَىٰ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.
بَابُ الذِّكْرِ فِي الْكُسُوفِ، رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.
بَابُ الدُّعَاءِ فِي الْخُسُوفِ، قَالَهُ أَبُو مُوسَىٰ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.
بَابُ قَوْلِ الْإِمَامِ فِي خُطْبَةِ الْكُسُوفِ: أَمَّا بَعْدُ.
بَابُ الصَّلَاةِ فِي كُسُوفِ الْقَمَرِ.
بَابٌ: الرَّكْعَةُ الْأُولَىٰ فِي الْكُسُوفِ أَطْوَلُ.
بَابُ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي الْكُسُوفِ.
بَابٌ: إِذَا انْفَلَتَتِ الدَّابَّةُ فِي الصَّلَاةِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنْ أُخِذَ ثَوْبُهُ يَتْبَعُ السَّارِقَ وَيَدَعُ الصَّلَاةَ.
بَابُ الْإِشَارَةِ فِي الصَّلَاةِ.
بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣]، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: الْهُونُ هُوَ الْهَوَانُ، وَالْهَوْنُ: الرِّفْقُ. وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].
بَابُ فَضْلِ سَقْيِ الْمَاءِ.
بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْعَتَاقَةِ فِي الْكُسُوفِ أَوِ الْآيَاتِ.
بَابُ صِفَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.
بَابٌ: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ.
بَابُ قِصَّةِ خُزَاعَةَ.
بَابٌ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:١١٦].
بَابُ كُفْرَانِ الْعَشِيرِ، وَهُوَ الزَّوْجُ، وَهُوَ الْخَلِيطُ مِنَ الْمُعَاشَرَةِ.
بَابُ الْغَيْرَةِ، وَقَالَ وَرَّادٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي.

بَابُ مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ مِنْ غَيْرِ خُيَلَاءَ.

بَابُ مَنْ سَمَّىٰ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَالَ أَنَسٌ: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ إِبْرَاهِيمَ. يَعْنِي ابْنَهُ.

بَابٌ: كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ؟ وَقَالَ سَعْدٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ. وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: لَاهَا اللهِ إِذًا. يُقَالُ: وَاللهِ، وَبِاللهِ، وَتَاللهِ.

بَابُ مِيرَاثِ السَّائِبَةِ.

بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] قَالَ: أَئِمَّةً نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا، وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا. وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي: هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ، وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ.

غريب الحديث

(خَسَفَتِ الشَّمْسُ): ذهب ضوؤها، يقال: كسفت الشمس والقمر، وكسفا وانكسفا، وخسفا وانخسفا، والخسوف والكسوف يكون لذهاب ضوئهما كله، ويكون لذهاب بعضه.

(الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ): تصلىٰ الآن صلاة ذات جماعة حاضرة.

(دُونَ): تحت.

(انْجَلَتِ): صفت وعاد ضوؤها.

(قِطْفًا): ما يقطف، والمراد به: عنقود من العنب، أي: أريد أخذه.

(مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ): ليس أحد أغير من الله، ولذا حرم المعاصي وكرهها.

(عَبْدُهُ، أَمَتُهُ): المملوكين له.

(لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ): من عظمة الله تعالىٰ وشدة عقابه وانتقامه من أهل المعاصي، وما أعلم من أحوال يوم القيامة.

(قُصْبَهُ): أمعاءه، وقيل: ما كان أسفل البطن من الأمعاء.

(سَيَّبَ): سيب النوق وسن لهم هذه العادة.

(السَّوَائِبَ): جمع سائبة وهي الناقة التي تترك فلا تركب ولا تصد عن ماء أو مرعىٰ، يفعلون ذلك نذراً وتقرباً لآلهتهم.

(أَفْظَعَ): من الفظيع، وهو الشنيع الشديد المجاوز المقدار.

(يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ): من الكفر، وهو الستر والتغطية، أي ينكرن إحسانه. **والعشير**: الزوج مأخوذ من المعاشرة وهي المخالطة والملازمة.

(يَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ): يخاف أن تكون ذلك من علامات قيام القيامة.

(تُفْتَنُونَ): تمتحنون.

(ضَجَّ الْـمُسْلِمُونَ ضَجَّةً): صاحوا وجزعوا.

(تَـخْدِشُهَا): تقشر جلدها.

(خَشَاشِ): حشرات وهوام الأرض.

فقه الحديث

قوله: (خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ).

الخسوف يطلق علىٰ الشمس والقمر، والمشهور عند الفقهاء استعمال الكسوف للشمس والخسوف للقمر، واختاره ثعلب، وذكر الجوهري أنه أفصح، وجاء في القرآن إطلاق الخسوف علىٰ القمر. وقد حصل الكسوف في زمن النبي ﷺ مرة واحدة.

قوله: (فَبَعَثَ مُنَادِيًا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ).

فيه استحباب النداء لصلاة الكسوف ويكون بهذا اللفظ، وليس له عدد معين، وإنما يكرره بما يحصل به الإبلاغ.

قوله: (فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ).

فيه أن السنة في صلاة الكسوف إطالة القيام عن المعتاد اقتداء بالسنة، ولأن الكسوف غالبًا يطول وسنته الصلاة، ولأنها مما يستدفع بها البلاء وتستجلب بها الرحمة والنعماء، وما تتضمنه من القرآن والذكر والتوبة والاستغفار والتعظيم والركوع والسجود، فهي خير موضوع يتقرب به.

قوله: (ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ).

فيه أن السنة إطالة الركوع والسجود كما أطال القيام.

قوله: (فَأَطَالَ الْقِيَامَ، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ).

فيه أن السنة أن تكون الركعة الثانية دون الركعة الأولىٰ، وكل ركعة دون التي قبلها، مع مراعاة الطول فيها جميعًا.

قوله: (أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ).

هذه أصح الصفات الواردة في صلاة الكسوف.

وصفت الصلاة في حديث عائشة: أن يكبر للإحرام، ثم يقرأ سورة الفاتحة، ثم يقرأ سورة طويلة، ثم يركع الأولىٰ ويطيل، ثم يرفع ويقرأ الفاتحة وسورة طويلة، ثم يركع ركوعـًا طويلاً، ثم يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد -كما في رواية مسلم- ويثني علىٰ الله بما هو أهله، ويقول: "لربي الحمد" ويكررها، ثم يسجد سجدتين يطيل فيهما، ثم يقوم للركعة الثالثة ويقرأ الفاتحة وسورة بعدها، ثم يركع ويطيل، ثم يرفع رأسه للركعة الرابعة، ثم يقرأ الفاتحة وسورة بعدها، ثم يركع، ثم يرفع رأسه، ثم يسجد سجدتين ويطيل ويسلم، وهذه أفضل صفة وأصحها.

وورد لصلاة الكسوف صفات عديدة، مع

أن رسول الله ﷺ لم يصليها في حياته إلا مرة واحدة، وجملة ما ورد في صفة صلاة الكسوف سبع وهي: ركوع في كل ركعة، وركوعان في كل ركعة، وثلاثة في كل ركعة، وأربعة في كل ركعة، وخمسة في كل ركعة، وكأحدث صلاة، وأن يصلي ركعتين ويسلم، ثم يصلي ركعتين ويسلم، هكذا حتىٰ تنجلي الشمس.

وكثير من الأحاديث الواردة فيها مختلف في صحته، وأصحها أحاديث تثنية الركوع، وهي التي اتفق الشيخان عليها، وما سواها أعرض عنها البخاري، ورویٰ بعضها مسلم، ولأهل العلم تجاه هذه الصفات مسلكان:

الأول: الجمع، وأن كل ما ورد جاز العمل به، وهو مخير بين أحد هذه الصفات، وحملوها علىٰ تعدد الكسوف وتعدد صلاته في عهد النبي ﷺ، كصفات صلاة الخوف، وهو مذهب أحمد في رواية، وإسحاق بن راهويه، وابن خزيمة، والخطابي، وابن المنذر، وقواه النووي، ورجحه ابن رشد، وابن حزم، وابن جرير الطبري.

والثاني: الترجيح بين هذه الروايات، فرجحوا أحدها وتركوا العمل بالباقي، وقدموا حديث عائشة وابن عباس المتفق عليهما أنها ركعتان في كل ركعة ركوعان، وبهذا قال الإمام مالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، واختاره شيخ الإسلام، وابن القيم وجماعة.

ويشهد لرجحان هذا القول: أن الشمس لم تكسف في حياة رسول الله ﷺ إلا مرة يوم مات ابنه إبراهيم، ورسول الله ﷺ ما صلىٰ الكسوف إلا مرة واحدة، فكيف تعددت الصفات، فدل علىٰ وجود خطأ في النقل.

والإمام البخاري أعرض عن كل الروايات التي فيها ذكر صفة صلاة الكسوف، ما عدا حديث عائشة وابن عباس، وهذا ترجيح منه لهذه الصفة دون غيرها.

وشيخ الإسلام يرىٰ أن كل ما خالف صفة حديث عائشة غلط، وللألباني رسالة خلص فيها إلىٰ أن كل ما خالف حديث عائشة وصفة الصلاة فيها، إما أنه ضعيف أو صحيح شاذ.

ونقل ابن القيم عن الشافعي وأحمد والبخاري أنهم كانوا يعدون الزيادة علىٰ الركوعين غلطًا من بعض الرواة، فإن أكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها إلىٰ بعض، ويجمعها أن ذلك كان يوم مات إبراهيم، وإذا اتحدت القصة تعين الأخذ بالراجح.

والراجح: هو حديث عائشة، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو، وأسماء بنت أبي بكر، وجابر وغيرهم، الذي فيه ركوعان في كل ركعة.

قال شيخ الإسلام: والصواب أنه لم يصل إلا بركوعين، وأنه لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة يوم مات إبراهيم، وقد بين ذلك الشافعي، وهو قول البخاري وأحمد بن حنبل في إحدىٰ الروايتين عنه، وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات، وأكثر في مسلم من المواضع المنتقدة بلا ريب.

والأظهر أن يقتصر علىٰ الصفة الواردة في حديث عائشة، ولو صلىٰ بغيرها مما صح أبيح ذلك مع ترك الأولىٰ، ونقل ابن القيم عن الشافعي وأحمد والبخاري: أنهم كانوا يعدون الزيادة علىٰ الركوعين في كل ركعة غلطًا من بعض الرواة، فإن أكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها إلىٰ بعض، ويجمعها أن ذلك كان يوم مات إبراهيم عليه السلام، وإذا اتحدت القصة تعين الأخذ بالراجح.

قوله: (ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ).

فيه أن صلاة الكسوف تنتهي بانتهاء سببها وهو الكسوف، فلا تشرع بعدها أداء ولا قضاء.

وفيه أن النبي ﷺ أطال الصلاة حتىٰ استوعبت صلاته وقت الكسوف كله من بدايته إلىٰ نهايته، فإن قدروا علىٰ ذلك فهو الأكمل، وإلا اشتغلوا بعد الصلاة بالدعاء والذكر والتكبير.

قوله: (فَخَطَبَ النَّاسَ).

فيه بيان مشروعية الخطبة للكسوف لثبوته عن رسول الله ﷺ، وقد ورد في حديث عائشة وأسماء المتفق عليه: **(أن رسول الله ﷺ خطب لها)**، وفي حديث عائشة: **(ثم قام فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهله...)**، وفي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ: **(فَخَطَبَ ٱلنَّاسَ)** [متفق عليه]، وهذا مذهب الشافعي وإسحاق وأكثر أصحاب الحديث، واختاره ابن دقيق العيد، وشيخ الإسلام، وابن القيم، والشوكاني، وشيخنا ابن عثيمين وغيرهم. فيستحب أن يذكر الإمام المصلين ويعظهم بما يناسب الحال، والأصل مشروعية الإتباع والخصائص لا تثبت إلا بدليل، والموعظة بعد الصلاة هي الخطبة المرادة، فإن فعل فقد أحسن وإن لم يفعل فلا حرج.

وذهب طائفة من العلماء: أنه لا يشرع لها خطبة، وهذا مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة، وقالوا: إن رسول الله ﷺ لم يقصد لها الخطبة بخصوصها، وإنما أراد أن يبين ما يُعْتَقَدُ أن الكسوف لموت أحد، ولذا لم يأمر بالخطبة لما أمر بالصلاة عند الكسوف.

ويؤخذ منه أن الانجلاء لا يسقط الخطبة وإنما يسقط الصلاة.

قوله: (فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ).

فيه أن الخطبة موعظة تناسب الحال فيها

بيان حكمة الكسوف، وحث الناس علىٰ الذكر والدعاء وترك الذنوب، وبيان غيرة الله أن تنال محارمه، ولا يطيل.

قوله: (فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا، وَتَصَدَّقُوا).

وفيه إشارة إلىٰ المبادرة إلىٰ المأمور به، وأن الالتجاء إلىٰ الله عند المخاوف بالدعاء والاستغفار سبب لمحو ما فرط من العصيان يرجىٰ به زوال المخاوف، وأن الذنوب سبب للبلايا والعقوبات العاجلة والآجلة، نسأل الله تعالىٰ رحمته وعفوه وغفرانه.

قوله: (وَصَلُّوا).

فيه دليل علىٰ مشروعية الصلاة، وهو أمر متفق عليه بين العلماء، والأدلة عليها كثيرة كحديث ابن عباس وعائشة وأبي بكرة والمغيرة وجابر، وجماهير العلماء يرون أنها سنة مؤكدة، وهذا مذهب الأئمة الأربعة، ورسول الله ﷺ خرج فزعًا خائفًا وصلىٰ صلاة طويلة، وقال: **(إذا رأيتم ذلك فصلوا)** وذهب بعض العلماء لوجوبها.

وفيه أن وقتها من بداية الكسوف إلىٰ ذهابه، والسنة أن يبدأ بالصلاة أول ما يظهر الكسوف، ورسول الله ﷺ أول ما ظهر له الكسوف قَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّىٰ دَخَلَ الْـمَسْجِدَ فصلاها، وإن صلاها وسطه أو آخره جائز فكله وقت صلاة، لعموم قوله ﷺ: **(فإذا رأيتم شيئًا من ذلك، فصلوا حتىٰ ينجلي)** [رواه مسلم].

ويؤخذ منه أنها تصلىٰ في أوقات النهي إذا انعقد سببها، وأنها من ذوات الأسباب فتباح فيها، وهذا مذهب الإمام الشافعي، واختاره شيخ الإسلام، وابن القيم، والسعدي، وشيخنا ابن عثيمين وغيرهم، وقد تقدم ذكر الأدلة علىٰ فعل ذوات الأسباب في أوقات النهي وهذه منها.

ويؤخذ منه مشروعيتها جماعة وفرادىٰ، في الحضر وفي السفر، ولا يشرط لها إذن الإمام، وذلك لعموم قوله ﷺ: **(وَصَلُّوا)**، ولأنها نافلة أشبهت سائر النوافل، وهذا مذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد.

قال ابن رجب: "والشغل بالصلاة فرادىٰ في البيوت أكثر الناس علىٰ استحبابه، وهو مروي عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة".

كما يؤخذ منه مشروعيتها في حق النساء، لأن: **(عائشة وأسماء صلتا مع رسول الله ﷺ)** [رواه البخاري]، فيشرع لهن شهود صلاة الكسوف مع الإمام، فإذا لم تصلي المرأة مع الإمام فتصليها في بيتها وحدها؛ لأنه لا يشترط لها الجماعة.

قوله: **(فَادْعُوا اللَّهَ، وَكَبِّرُوا)**، وفي حديث ابن عباس: **(فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ)**.

دليل علىٰ مشروعية الإكثار من الذكر

والتكبير والدعاء عند الكسوف.

قوله: (وَتَصَدَّقُوا).

فيه استحباب الصدقة عند الكسوف لدفع هذا البلاء.

قوله: (جَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْخُسُوفِ بِقِرَاءَتِهِ).

فيه دليل أن السنة في الجهر بالقراءة في صلاة الكسوف سواء كانت ليلاً أو نهاراً، وهذا مذهب الإمام أحمد، واختاره البخاري، وابن حزم، وشيخ الإسلام، وابن القيم، وشيخنا ابن عثيمين.

والدليل: السنة الصريحة في ذلك، كما في حديث الباب قال البخاري: "حديث عائشة في الجهر أصح من حديث سمرة: **(صلىٰ بنا رسول الله ﷺ في كسوف لم نسمع له صوتًا)**، فحديث عائشة أصح وأصرح بلا شك، وتضمن زيادة الجهر". قال ابن القيم: "فهذه ثلاث ترجيحات للجهر علىٰ الإسرار".

وهي أنه أصح أصرح في إثبات الجهر، وأن فيه إثبات الجهر وزيادة علم، والمثبت مقدم علىٰ النافي.

فالسنة الجهر بالقراءة ليلاً أو نهاراً، والقاعدة المعروفة: "أن الصلاة الجهرية في النهار إنما تكون فيما يجتمع الناس عليه".

قوله: (قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ).

فيه بيان طول القيام الظاهر الخارج عن المعتاد في صلاة الكسوف، والإمام يراعي من خلفه عند تطبيق السنة في الإطالة.

واستدل به علىٰ أن لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد علىٰ العادة في القيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة، وقد وافق عائشة علىٰ رواية ذلك ابن عباس وابن عمرو متفق عليهما.

قوله: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ[1]، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ).

فيه إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض من موت أو ضرر، فأعلمهم أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما، ولا قدرة علىٰ الدفع عن أنفسهما، وأن الكسوف تخويف من الله لعباده من بأسه وعقوبته.

قوله: (وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ**).

فالكسوف تخويف ولو علم بالحساب، لما فيه من تغير الشمس عما اعتاده الناس، وتذكير بما يكون في القيامة حين تكور الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم.

قوله: (يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ).

يؤخذ منه أن الواعظ ينبغي له حال وعظه

(١) وَلِمُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ: **يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ**.

أن لا يأتي بكلام فيه تفخيم لنفسه، بل يبالغ في التواضع؛ لأنه أقرب إلىٰ انتفاع من يسمعه.

قوله: (وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ).

فيه إثبات صفة الغيرة لله إذا انتهكت محارمه، وليس انتهاك المحارم هو غيرة الله؛ لأن انتهاك المحارم فعل العبد، ووقوع ذلك من المؤمن أعظم من وقوعه من غيره.

فغيرة الله تعالىٰ من جنس صفاته التي يختص بها، ليست مماثلة لغيرة المخلوق، بل هي صفة تليق بعظمته، مثل الغضب، والرضا، ونحو ذلك من خصائصه التي لا يشاركه الخلق فيها، فهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وإن وجد الاشتراك في ألفاظ بعض صفاته وصفات خلقه، وأما في حقيقة الشيء فصفاته ليس كمثلها شيء من صفات خلقه.

وفيه قبح الفواحش وأشدها الزنا، وإذا حصل من المؤمن كان أشد قبحًا، وفي الصحيحين: **(وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ)**.

قوله: (وَاللهِ! لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ).

أي من عظيم قدرة الله وانتقامه من أهل الإجرام.

وقيل: معناه لو دام علمكم كما دام علمي، لأن علمه متواصل بخلاف غيره.

وقيل: معناه لو علمتم من سعة رحمة الله وحلمه وغير ذلك ما أعلم.

قوله: (لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

أي علىٰ ما فاتكم من ذلك أو تعظيماً وخوفًا ورجاءً.

وفيه ترجيح التخويف في الخطبة علىٰ التوسع في الترخيص، لما في ذكر الرخص من ملاءمة النفوس لما جبلت عليه من الشهوة، والطبيب الحاذق يقابل العلة بما يضادها لا بما يزيدها.

قوله: (فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ).

فيه ما كان النبي ﷺ عليه من الشفقة علىٰ أمته وشدة الخوف من ربه.

وفيه المبادرة بالصلاة والدعاء والذكر والصدقة عند الكسوف، والزجر عن كثرة الضحك، والحث علىٰ البكاء عند الكسوف، والتحقق بما سيصير إليه المرء من الموت والفناء، والاعتبار بآيات الله.

وفيه الرد علىٰ من زعم أن للكواكب تأثيراً في الأرض، لانتفاء ذلك عن الشمس والقمر فكيف بما دونهما.

وفيه بيان ما يخشىٰ اعتقاده علىٰ غير الصواب، واهتمام الصحابة بنقل أفعال النبي ﷺ ليقتدىٰ به فيها، ومن حكمة وقوع الكسوف تبيين أنموذج ما سيقع في القيامة وصورة عقاب من لم يذنب، والتنبيه علىٰ

سلوك طريق الخوف مع الرجاء لوقوع الكسوف بالكوكب ثم كشف ذلك عنه، ليكون المؤمن من ربه علىٰ خوف ورجاء.

وفي الكسوف إشارة إلىٰ تقبيح رأي من يعبد الشمس أو القمر، وحمل بعضهم الأمر في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت:٣٧]، علىٰ صلاة الكسوف؛ لأنه الوقت الذي يناسب الإعراض عن عبادتهما لما يظهر فيهما من التغيير والنقص المنزه عنه المعبود ﷻ.

واستشكل كيف يخشىٰ أن تكون الساعة ولها مقدمات كثيرة، وأشراط لم تقع كطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والدجال، والدخان، وغير ذلك.

وأجيب: باحتمال أن يكون هذا قبل أن يعلمه الله تعالىٰ بهذه العلامات، فهو يتوقع الساعة كل لحظة.

ويحتمل أنه من باب التمثيل من الراوي، كأنه قال: فزعًا كالخاشي أن تكون القيامة، وإلا فهو ﷺ عالم بأن الساعة لا تقوم وهو بين أظهرهم، أو أن الراوي ظن أن الخشية لذلك لقرينة قامت عنده.

ويحتمل أنه ﷺ جعل ما سيقع كالواقع إظهارًا لتعظيم شأن الكسوف، وتنبيهًا لأمته أنه إذا وقع لهم ذلك كيف يخشون ويفزعون إلىٰ ذكر الله، والصلاة، والصدقة؛ ليدفع عنهم البلايا.

قوله: (وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ).

ومناسبة التعوذ عند الكسوف: أن ظلمة النهار بالكسوف تشابه ظلمة القبر وإن كان نهاراً، والشيء بالشيء يذكر، فيخاف من هذا كما يخاف من هذا، فيحصل الاتعاظ بهذا في التمسك بما ينجي من غائلة الآخرة.

قوله: (**وَفِيهِ: إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ**).

ظاهره أنها رؤية عين ولا إحالة في حمله علىٰ ظاهره، وهذا من المعجزات لرسولنا أن الله جعله يرىٰ الجنة والنار علىٰ حقيقتها، لاسيما علىٰ مذهب أهل السنة في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا، فنؤمن بذلك علىٰ ظاهره، وأنه علىٰ الحقيقة لا التخيلات، وهذا بقدرة الله يسير، وكيفيته الله أعلم بها.

فمنهم من حمله علىٰ أن الحجب كشفت له دونها، فرآها علىٰ حقيقتها، وطويت المسافة بينهما حتىٰ أمكنه أن يتناول منها، وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر.

ومنهم من حمله علىٰ أنها مثلت له في الحائط كما تنطبع الصورة في المرآة فرأىٰ

جميع ما فيها، ويؤيده حديث أنس في البخاري: (**لقد عرضت علي الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي**)، وفي رواية: (**لقد مثلت**)، ولمسلم: (**لقد صورت**). والله أعلم.

قوله: (**وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**).

علىٰ ظاهره، وعلل ذلك (قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **بِكُفْرِهِنَّ**. قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: **يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ**): وهذا بيان للمراد بكفرهن، وأن المقصود كفر إحسان العشير وجحده، ويدل عليه آخر الحديث.

قوله: (**وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ -وَفِي رِوَايَةٍ: يُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟-، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ -أَوِ الْمُسْلِمُ- فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ -وَفِي رِوَايَةٍ: وَالْهُدَى-، فَأَجَبْنَاهُ وَآمَنَّا. فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا، عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ -أَوِ الْمُرْتَابُ- فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي! سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. (وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ الْمُسْلِمُونَ ضَجَّةً)**).

فيه إثبات السؤال في القبر للمؤمن والمنافق، وإثبات أثر الإيمان والعلم حتىٰ في البرزخ.

وفيه إثبات نعيم القبر كما يأتي في الجنائز.

وفيه تثبيت المؤمن عند السؤال في القبر، وحضور جوابه وحجته.

وفيه أن المؤمن في القبر في سلامة ينام صالحًا كنومة العروس، ويأتيه من نعيم الجنة وروحها.

وفيه وبال اتباع أهل الضلال في مواجهة الحق وأهله، وعاقبته في القبر.

تم شرح كتاب صلاة الكسوف

